منبر "بيروت"

المقاومة الفلسطينية والسيادة اللبنانية

كشفت التعقيدات التي تمر بها ازمة تشكيل الحكومة اللبنانية ان الاسباب الحقيقية للازمة لا علاقة لها بمداولات السياسيين وتركيباتهم ، بل انها اعمق واشمل واخطر ، لانها تتعلق بالوجود الفلسطيني في لبنان ، وهو ما كشفه الشيخ بيار الجميل نفسه قبل مجزرة عين الرمانة ببياناته الشهيرة ، وعاد فكشفه في تصريحاته امس الاول .

والدولة في هذا الامر تقف موقفا كتائبيا صريحا كما اتضح من زيارة السيدين كمال جنبلاط ورشيد كرامي للقصر الجمهوري يوم الاربعاء الماضي. وهذا الموقف يمكن تلخيصه بانه يقضي بالتفاهم على « الاسس » التي سيتم بموجبها تشكيل الحكومة قبل الاقدام على التشكيل ، وهذه الاسس هي ما يطلقون عليه « تحقيق السيادة اللبنانية على جميع اراضي لبنان وعلى جميع المقيمين عليه » . ولم يعد خافيا ان هذه العبارة المالوفة موجهة ضد الوجود الفلسطيني في لبنان .

وهنا يخطر بالبال سؤال واحد لا بد من طرحه قبل الاسترسال في بحث اوجه المشكلة وحلولها ، وهو سؤال يتعلق بصميم موضوع السيادة اللبنانية : هل يعتبر لبنان اسرائيل عدوا ام لا ؟

والاجابة على هذا السؤال هي التي تحدد الجهة التي توجه السيادة اللبنانية ضدها .

فاذا كان لبنان يعتبر نفسه في حالة عداء مع اسرائيل فان وجود المقاومة الفلسطينية في الارض اللبنانية يكون جزءا من السيادة اللبنانية التي تنتهكها اسرائيل كل يوم تقريبا . ذلك ان الوجود الفلسطيني ليس وجودا معاديا ، فضلا عن انه وجود مؤقت. والمقاومة الفلسطينية من هذا المنظار للسيادة اللبنانية ما هي الا جيش حليف على ارض حليفة . وهذا الكلام لسنا اول من يقوله، بل قاله من قبل الرئيس الراحل فؤاد شهاب الذي كانت له على الكتائب اياد بيضاء.

ونعرف الكتائب قبل غيرها ان الوطنيين الفرنسيين الذين كانوا يقاومون الاحتلال النازي لبلادهم اثناء الحرب العالمية الثانية ، لم ينظروا الى القوات الاميركية وغيرها من القوات الحليفة التي جاءت لتحارب النازي على ارضهم على انها جيوش احتلال، بل كانوا ينظرون اليها على انها جيوش حليفة لها كل الحقوق النابعة من صميم السيادة الفرنسية ، فكان الفرنسيون يرون في جيوش الحلفاء جزءا من سيادتهم المسلوبة من قبل الاحتلال الهتلري .

وهكذا المقاومة الفلسطينية في لبنان . انها جيش حليف وجوده في لبنان هو جزء من السيادة اللبنانية المسلوبة من قبل العدو الصهيوني . وأي تصور غير ذلك معناه بغير مواربة او تستر ان العدو هو المقاومة الفلسطينية وان اسرائيل هي الحليف والصديق.

اما التذرع بذرائع اخرى للازمة كالادعاء بأن الحل في يد الاكثرية النيابية ، انما هو تسمية للاشياء بغير اسمائها من اجل تعقيد الازمة وصولا الى الغايات المشبوهة .

فمتى كانت الاكثرية النيابية في ظل الوضع الراهن للنظام البرلماني هي المعبرة عن ارادة الشعب ؟ السنا نذكر ان الاكثرية النيابية كانت الى جانب الشيخ بشارة الخوري ، ولم يحل ذلك دون سقوطه تحت وطأة الغضبة الشعبية العارمة ؟ السنا نذكر ان الاكثرية النيابية كانت الى جانب التجديد لكميل شمعون ، ولم يحل ذلك دون قيام ثورة شعبية مسلحة منعته من التجديد ؟

السنا نذكر ان سليمان فرنجية نفسه فاز بالرئاسة باكثرية صوت واحد في حين ان هذا الصوت الواحد كان اصدق واشمل تعبيرا عن العواطف الشعبية من مجلس النواب بكامله ؟

فالاكثرية النيابية ليست هي عقدة الازمة الا بقدر ما تريد لها السلطة ان تكون، لان الازمة في مكان اخر وفي اطار اخر .

ونقول ببساطة : اذا شاؤوا ان يكون الحل تعبيرا عن رغبة اكثرية الشعب التي لا تمثلها الاكثرية النيابية، وهي اكثرية معروف كيف جاءت ومن جاء بها، فليطرحوا المواضيع الاساسية التي تدور الازمة في اطارها الى الاستفتاء الشعبي العام اسوة بالبلدان الديمقراطية العريقة . فليستفتوا الشعب في كل المناطق حول الوجود الفلسطيني وحول الاحداث الاخيرة واشراك الكتائب او عدم اشراكها في الحكم . والجميع ملزمون بنتائج الاستفتاء .

وقد اعطت بريطانيا بالامس القريب مثلا على اهمية الاستفتاء الشعبي في تقرير القضايا المصيرية بالتصويت على البقاء في السوق الاوروبية ، بالرغم من ان الاستفتاء في بريطانيا ليس عرفا او تقليدا دستوريا ولا تقوم عليه نصوص .

اما دوران الازمة اللبنانية في الحلقة التي تدور فيها حتى الان .. فلا يدل على نوايا طيبة.